Stichting Anour Madrasati
voor Cultuur, Opvoeding en Educatie
KvK : 58591761
IBAN : NL73ABNA0413704440

مؤسسة النور مدرستي
للثقافة والتربية والتعليم
www.anourmadrasati.nl
info@anourmadrasati.nl

الجمعة 2 جمادى الآخرة 1442 موافق 15 يناير 2021

من إعداد الإمام : نجيم أوحادوش

فضل التواضع وذَمُّ الكِبْر

إن للأخلاق مكانة كبرى في ديننا الحنيف، فالخُلُق من الإسلام كالروح من الجسد، وقوام الحضارات والأمم بالأخلاق، وهلاكها بفقدانها لأخلاقها.
قال النبي صلى الله عليه وسلم : «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**» وفي رواية «**صالح الأخلاق**»

إنما الأممُ الأخلاقُ ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا
وَإذا أُصيبَ القَومُ في أَخلاقِهِم فَأَقِم عَليهِم مَأتَماً وَعَويلا

من الأخلاق العظيمة أيها المسلمون التواضع، وهو خلقٌ حميدٌ وخصلةٌ كريمةٌ، ينال بها العبد بعد رضا الله رضا الناس عنه، فالمُتواضِع يحبه الناس ويألفونه ويطمئنون إليه، والمسلم حقاً يحب إخوانه المسلمين، وينظر إليهم نظرة الإحترام والتقدير، وإن تفاوتت الفوارق الإجتماعية من غِنىً إلى فقر أو غير ذلك.
وقد أمر الله بالتواضع في كتابه وعلى لسان رسوله. قال تعالى لنبيه: ﴿**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنْ اتَّبَعَكَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ (الشعراء: 215)، أي ألن جانبك، والأمر له عليه السلام ولجميع الأمة.
وقد أثنى سبحانه على عباده الذين هم أهل لنيل رحمته فقال : ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمْ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً**﴾ (الفرقان: 63)، أي يمشون متواضعين عليهم السكينة والوقار وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ أي السفهاء قالوا قولاً يسلمون به من الإثم.
وقال جل شأنه: ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ (القصص: 83)، والدار الآخرة هي الجنة، إذ هي آخر دار يسكنها المتقون، نجعلها مأوى ومسكناً للذين لا يريدون إستطالة على الناس وتعالياً وتكبراً عليهم وبغياً، ولا فساداً بارتكاب المعاصي.
وعن عياض بن حِمار أنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، قالَ: «**إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يبغيَ أحدٌ على أحدٍ، ولا يفخرَ أحدٌ على أحدٍ**» (سنن أبي داود)
وكان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم كما روى أنس بن مالك: «**اللهمَّ أحْيني مِسكينًا** -متواضعا- **وأَمِتني مِسكينًا واحشُرْني في زُمرةِ المساكينِ**» (أخرجه الترمذي)

إخوة الإسلام

إنَّ التواضع يغرس المحبة والمودة بين العباد ويزيل الشَّحناء بينهم، ويريح مِن تعب المباهاة والمفاخرة ويجعل صاحبه جليل القدر، رفيع المكانة.
روى مسلم من حديث أبي هريرة قال: قال صلى الله عليه وسلم: «**وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللَّهُ**»
ونقرأ في سيرة النبي أنه كان أشد الناس تواضعاً، وأبعدهم عن الكبر، يمنع عن القيام له كما يقوم الناس لملوكهم وعظمائهم، وكان يعود المساكين، ويجالس الفقراء، ويجيب دعوة العبد، ويجلس مع أصحابه كأحدهم. قالت عائشة : «كان يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته»
وعن أبي مسعود عقبة بن عمرو قال: أتى النَّبيَّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ رجلٌ فَكَلَّمَهُ، فجَعلَ ترعدُ فرائصُهُ، فقالَ لَهُ: «**هوِّن عليكَ، فإنِّي لستُ بِمَلِكٍ، إنَّما أنا ابنُ امرأةٍ تأكُلُ القَديدَ**» (أخرجه ابن ماجه). وغير هذا كثير وكثير.

أيها المسلمون

وكما رغب الإسلام في خلق التواضع، فقد حذر من خُلُق الكِبْر والغرور والتعالي على خلق الله.

قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَاعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (لقمان: 18)،
وفي قراءة ولا تصعر وهما سبعيتان ومعناهما واحد.
ولا تصاعر خدك للناس: أي ولا تُعرض بوجهك عمن تكلمه تكبراً. مرحا: خيلاء. مختال: أي متبختر.
فخور كثير الفخر مما أعطاه الله ولا يشكر (تفسير أبي بكر الجزائري).
وعن عبدالله بن مسعودٍ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرةٍ من كبرٍ**» قال رجلٌ: «إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا، ونعله حسنةً» قال: «**إن الله جميلٌ يحب الجمال**» (رواه مسلم)
الكِبْرُ: بطَر الحق، وغمط الناس؛ ومعنى بطر الحق: أي دفعه ورده أنفة.
وأما غمط الناس فالمراد به هو: احتقارهم وازدراؤهم، يعني لا يرى الناس شيئاً إذا تحدث عنهم تحدث على أنهم هلكى، وأنهم جهلة، وأنهم سُذج، وأنهم لا يفهمون، لكن هو وحده الذي يفهم وهو العبقري الفطن الحاذق الذكي.
وقد قالوا قديما إن المتكبر المغرور كالديك منفوخ يعتقد أن الشمس لاتشرق إلا بصياحه. وقالوا: المتكبر يرى نفسه ذهبا وغيره تراب.
وروى مسلم عن سَلَمَةَ ابْنِ الأَكْوَعِ أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ بِشِمَالِهِ، فَقَالَ: «**كُلْ بِيَمِينِكَ**» قَالَ: «لا أَسْتَطِيعُ» قَالَ: «**لا اسْتَطَعْتَ، ما مَنَعَهُ إِلَّا الكِبْرُ**»، قَالَ: «فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ»
وعند أحمد وأبي داود وصححه الألباني من حديث أبي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم: قال الله عز وجل: «**الكبرياء ردائي، والعَظَمة إزاري، من نازعني واحدًا منهما قذفته في النار**»

أسباب الكبر

وأما أسباب الكبر فتأتي من جهة: الأصل أو اللون العلم، والنسب، والجمال، والمال، والقوة، أوحتى الإعجاب بالطاعة والإستقامة فيفضي به العجب إلى الكبر إذ هو أثر من آثاره.
قال بِشْر ابن الحارث رحمه الله: العجب أن تستكثر عملك، وتستقل عمل الناس أو عمل غيرك. (حلية الأولياء 8/348)
قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ - تابعي وأحد رواة الحديث النبوي: «أَدْرَكْتُ ثَلاَثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ، مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يَقُولُ: إِنَّهُ عَلَى إِيمَانِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ»
أخرجه البخاري مُعلّقًا بالتالي: خَوْفِ المُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ لاَ يَشْعُر. (كتاب الإيمان: 36)

علاج الكبر

وأما علاج الكبر فيكون: بمعرفة حقيقة النفس، قال تعالى: ﴿**فلينظر الإنسان مم خلق ...**﴾ (الطارق: 5)
ذكر الإمام الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء عن الأصمعي عن أبيه قال مر المهلب على مالك ابن دينار متبخترا، فقال مالك: «أما علمت أنها مشية يكرهها الله إلا بين الصفين؟!» فقال المهلب: «أما تعرفني؟» قال مالك: «بلى، أوَّلُك نطفة مذرة (إذا يبست نتنت وراحت وتغيرت) وآخرك جيفة قذرة، وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة»
فانكسر المهلب وقال: «الآن عرفتني حق المعرفة»
علاج الكبر يكون بمعرفة أن الكبر من كبائر الذنوب، والتعرف على عقوبة المتكبرين وكيف صنع الله بهم.
قال تعالى: ﴿**وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ**﴾ (العنكبوت: 39). مع العناية بدراسة سيرة رسول الله لنرى كيف كان تواضعه وهو سيد المرسلين.

تواضعْ تكنْ كالنجمِ لاحَ لناظرٍ ... على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تكُ كالدخّان يعلو بنفسه ... إلى طبقات الجوّ وهو وضيع

اللهم اهْدِنا لأحْسَنِ الأخلاقِ لا يَهْدي لأحَسِنها إلا أنت واصْرِفْ عنا سَيِّئَها لا يَصرِفُ عنّا سيئَها إلا أنتَ.
والحمد لله رب العلمين.